أثرالقرآن الكريم في الشعر العربي في العصر الإسلامي

*الأستاذ الدكتور الحافظ عبدالرحيم

**جاويد إقبال

Abstract:

The introduction, purpose and signification of the Sacred and the Holy Quran has been described in this article. The Holy Quran has impacted on Arabic language and literature, especially to the Arabic poetry.in early age of Islam , poetry were radically replaced by ideas and concepts generated by the Holy Quran, especially those related to God, man, universe, good and evil, and hereafter etc. The Holy Quran has denounced poets who roam about in every valley of imagination and fancy and are followed by the miss-guided ones, but at the same time it has exempted poets with strong faith in Allah and doing good deeds from this judgment. The Holy Prophet (peace be upon him) has regarded some poetry and rhetoric as the fountain of wisdom and magical impact respectively. Islam did not kill the poetic spark amongst the Arabs nor prevented them from going ahead in poetic creation; rather it has encouraged poetic genius, exploited especially to promote the message of Islam. The literary person and poets of Arab and non-Arab were so impressed by the words and meaning of the Quran and its ways that we see a sub-line impact of the Holy Quran on their language, diction, ways, art and literature.

Key Words: impressed. Words. Meaning. Quran. Poetry. Impact.

* عميد كلية الدراسات الإسلامية واللغات ،ورئيس القسم العربي،جامعة بهاء الدين زكريا ملتان.

** متخصص اللغة العربية في المدرسة الثانوية الحكومية،مخدوم بور-خانيوال.

تمهيد

الحمدلله رب العالمين ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له،وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله، الصادق الوعد الأمين، أرسله الله رحمة للعالمين،بشيراًونذيراً،وأصلّ وأسلّم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا ومولانا ونبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

إن الأدب الإسلامي الرفيع الذي خلف السلف الصالح من المؤمنين، معينه صاف وخيره كثير بلغ الذروة في سمو الكلمة الطيبة و الحكمية الرفيعة.

وكان لزاماً على الباحثين أن يسهموا ويجاهدوا بأقلامهم للرد على أوهام المغرضين ضدّ الأدب الإسلامي ،ويجب على أبناء المسلمين أن يقدموا دراسات علمية جادة في سبيل كشف الغطاء عن حقيقة الأدب الإسلامي.

ولقد أسهم عدد غير قليل على الدين الإسلامي وأدبه وبخاصة من أبنائه في الحقب الأخيرة من القرن الرابع عشر الهجري بردهم الإيجابي السليم على تلك الأهاوم والأباطيل ضدّ الدين الإسلامي الحنيف، وضد أدبه النبوي. وفي العصر الأموي أمتزج فيه العرب بالعجم، وانساحواشرقًا وغربًا يفتحون البلاد وينشرون الإسلام في كل حدب وصوب، فاذا الشاعر العربي يحيا بعد ذلك في أوطان جديدة تختلف اختلافا كليًا عما هي في الجزيرة العربية. ثم ان انتقال العربي ذاته في البلاد العربية نحو التحضر وتركه للتبدى كان بحد ذاته ذا أثرعظيم في التكوين الثقافي والاجتماعي للمجتمع العربي في العصر الأموي ، فنجد الحواضر قد بنيت، وازداد عددها، وأوضحت القرى والمدن مراكز استقطاب تجذب اليهاالناس جميعًا.ولاشك ان هذاالانتقال الرائع للحياة العربية، والذي أرسى دعائمه الدين الإسلامى، قد أثر تأثيرًا ايجابيًا في الشعر العربي، ولاسيما أن الشعراء أخذوا يخضعون لمؤثرات مختلفة بيئية وحضارية ودينية واقتصادية وثقافيه، ولاننسى أيضًا تعرب من ليس بعربي،فهذا أيضًا ذوأثر عظيم في الشعرالعربي.

ونحمد الله العلى القديرالذي وقفنا بفضله في الرد على تلك الأوهام وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن أدب الدعوة الإسلاميه هذا، ثم عرضت لموقف الدين الإسلامي الحنيف من الشعراء العرب فى ضوء القرآن الكريم ، وكذلك حاولت تحليل هذا الموقف يعني أثر القرآن الكريم في الشعر العربي.

القرآن الكريم هوالذي أنزل الله تعالى على نبيه الكريم ليهدي الناس إلى الصراط المستقيم.حينما نزل القرآن الكريم راع العرب سحره وبهرهم أسره وأخذ بمجامع قلوبهم بيان الساحر ،وأسلوبه المعجز القاصم،فتوهمواسحراً وما هوبالسحر،وظنواشعرًا وليس بالشعر،كماقالوا ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾(فرقان:5/25). فقال الله تعالى ردًا عليهم: ﴿ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾(فرقان :6/25) كما إنهم ادعوا أن رجلاً يعلم الرسول الكتاب والحكمة،ويلقي إليه بما يطالع الناس به من رائع الآيات ومحكم البيانات. فقال القرآن موضحا ذلك: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾ (النحل:103/16). هكذا إنهم حاولوا أن يصرفوا الناس عن الناس هداية، ويحولوا دون الخضوم لسحره والأنصات ببيانه فما استطاعوا: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (فصلت:26/41).

إن القرآن الكريم خير مؤدب للنفس المؤمنة بما يعود عليها بالفائدة، والصلاح في الحياة الدنيا والآخرة. وهو يعالج النفس الإنسانية معالجة دقيقة مما قد يعلق بها من أدران الحياة الفانية. فللقرآن الكريم منهج ربانى في تربية نفوس المسلمين. قال الله تبارك و تعالى مبيناً هذه الحقيقة الخالدة عنه:﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [2]

[2]- حم السجدة: 42/24.

وإن أهداف القرآن الحكيم أهداف نبيلة سامية، تسمو أهدافه بالنفس المؤمنة المطمئنة إلى رفيع الدرجات بعد اكتمال نموها، فتغدو في مصاف الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً.

ويتضح المنهج القرآني في تربية الأديب و بخاصة الشاعر المسلم في قول الله تبارك و تعالى عن الشعراء الذين خصص لهم سورة باسمهم في الذكر الحكيم حيث قال الله تعالى:﴿وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا﴾[3]

وقد وردت في سبب نزول هذه الآية الخاصة بالشُّعراء أقوال عديدة وتفسيرات كثيرة، ومنها قول الضحاك: تهاجى رجلان أحدهما أنصاري، والآخر مُهاجرعلى عهد رسول الله مع كل واحد غواةُ قومه، وهم السفهاء، فنزلت هذه الآية. وبهذا قال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما، وعنه: (وهم الرواة للشعر) وروى عنه علي بن أبي طلحة أنهم (هم الكفُار يتهمون بضلال الجن والإنس).[4]

بل لقد قيل في هذه الآية: إنها نزلت في عبدالله بن الزبيري أحد شعراء مشركى مكة قبل إسلامه، ونزلت في مسامع بن عبد مناف وأمية بن أبي الصلت شاعر ثقيف فى الجاهلية. وقيل كذلك إنها نزلت في أبي عزة الجمحي حيث قال:

ألا ابلغا عنّى النّبي مُحَمَّداً بأنك حقٌ والمليك حميدٌ

ولكن إذا ذكرت بدراً وأهله تأوه مِنّى أعظم و جُلُودُ[5]

[3]- الشعراء: 19/227،226،225،224.

[4]- القرطبي: مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر، أبو عبدالله، (ت: 671هـ) الجامع لأحكام تفسير قرطبي ،دار الكتب المصرية، القاهرة، ط:2-1384هـ، 6/486.

[5]- الدكتور محمود حسن زينى، دراسات في أدب الدعوة الإسلامية، الطبعة الثانية (1428هـ - 2006م) ص:54.

وفي الحقيقة أن الشعراء انقسموا فريقين إبان فجر الدعوة الإسلامية و بخاصة بعد انتهاء الفترة المكية وبداية مرحلة جديدة في تاريخ الدعوة الإسلامية، فإذا بقرش لم يعرفوا بالشعر قبل الإسلام أو بالأخرى لم يكن لهم شعر يرقى إلى درجة شعر الفحول في الجاهلية ليعادوا رسول الله ﷺ في المدينة، ويخاصموا دعوته.

وقد أفلحت قريش في تكوين الفريق الأوّل من الشعراء الذي يمثل المعارضة المكونة مِن أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، ومن عبدالله بن الزبيري بن قيس السهمي القرشي، ومن ضرار بن الخطاب الفهرى، والحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله المخزومى أخ أبي جهل، وأبي عزة الجمحي وعمرو بن العاص، وانضم إلى المجموعة المعارضة من الشعراء في مكة أمية بن أبي الصلت الثقفى الذي كان يتمنى أن تنزل المجموعة المعارضة من الشعراء في مكة أمية بن أبي الصلت الثقفى الذي كان يتمنى أن تنزل عليه النبوة فلما نزل الوحى على رسول الله مُحَمَّد ﷺ قتله حقده، فراح يحرض المشركين على حرب الرسول ﷺ ومعاداته في كل مكان.

أمّا الفريق الثاني من الشعراء فأولئك هم الذين أنار الله قلوبهم وهداهم إلى الإسلام فوهبوا نفوسهم وأموالهم وما يملكون من شعر للذود عن رسول الله ﷺ، والجهاد في سبيل الله إعلاء لكلمة الحق تبارك و تعالى، ودفاعاً عن الدين الإسلامي الحنيف، ضد أعداء الله والدين من المشركين واليهود والمنافقين، فوهب شعراء للأنصار الثلاثة نفوسهم للدعوة الإسلامية وهو: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبدالله بن رواحة رضى الله عنهم أجمعين. وبذل الشعراء المهاجرون وشعراءهم نفوسهم رخيصة فى سبيل نصرة الدعوة الإسلامية ونشر الدين الإسلامي الحنيف، وهم: عبدالله بن جحش وعبيد بن جيش و عثمان بن مظعون و عبدالله بن الحارث السهيمى وغيرهم.

وأخذ شعراء الأنصار مع إخوانهم شعراء المهاجرين في الوقوف ضد الشعراء المشركين الذين شهروا سلاح الشعر في وجه الدعوة الإسلامية وهدموا ما بناه الإسلام و الرسول الأكرم مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم ، وافتروا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه شاعر و ساحر و مجنون. ومن أجل هذا أنزل في حق شعراء المشركين قوله الكريم في سورة الشعراء: ﴿ وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾[6] وقد نزلت هذه الآية مؤكدة حال الشعر الوثني وحال الشعراء الجاهلين الكافرين في شعرهم، وأن القرآن الكريم ليس بشعر، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليس بشاعر وليس بساحر وليس مجنون ولا كاهن، وليس كما كان يدعى خصوم الإسلام إبان بغض النبي مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد بين القرآن الكريم حال الشعراء المسلمين الذين استثناهم في الآية يقول تبارك وتعالى: ﴿إلاّ الذين آمنو.....﴾ فكان هؤلاءهم شعراء الدعوة الإسلامية الذين برأهم الله تبارك و تعالى من الغواية والضلال وأنهم يمثلون بحق شعر الدعوة الإسلامية.

آراء المستشرقين

1- رأى بروكلمان الألماني:

انفرد بروكلمان بأحكام معتدلة دون سائر أقرانه من المستشرقين على لبيد بن ربيعة العامرى الشاعر المسلم الذي عاش في عصر النبوة والخلفاء الراشدين الذين أغفلهم بروكلمان في تقسيمه لمراحل الأدب. فلقد أعجب به كثيرا في شعره ، وخالف في حكمه عليه عدداً كثيراً من النقاد ومؤرخي الأدب المحدثين. فلقد قال عنه: "ومما يزيد شعره نفاسة ما يتردد فيه من نغمات دينيه، وقد قيل: إن لبيداً لم يقل شعراً في الإسلام، وليس

[6]- الشعراء: 224/19.

هذا بصحيح، فإن كثيراً من شعره مطبوع بطابع الوحي، ويبعد أن تكون كل هذه الأبيات منحولة وإن ظهر فيها شئ من التزيد عليه".[7]

واستشهد بروكلمان في حكمه على لبيد، الذى أثر فيه الإسلام تأثيراً قوياً، بقول أبي عمرو بن العلاء عنه: "ما أحد أحب إلي شعراً من لبيد بن ربيعة لذكره الله عزوجل، ولإسلامه، ولذكره الدين والخير، ولكن شعره وحي ...".[8]

يقول في بعض أبيات القصيدة الكثيرة:

إنما يحفظ التقى الأبرار وإلى الله يستقر القرار

وإلى الله ترجعون وعند الله ورد الأمور والإصدار

كُلّ شيئ أحصى كتاباً و علماً ولديه تجلت الأسرار

إن يكن في الحياة خير فقد أنظرت لوكان ينفع الإنظار

عشت دهراً ولا يدوم على الأيام إلا يرموم و تعار[9]

ولم يعتدل بروكلمان في حكمه على لبيد فحسب، بل ذهب كذلك يُبين فضل انتشار شعر شاعر آخر عاش في صدر الإسلام ألا وهو شاعر النبى صلى الله عليه وآله وسلم حسان بن ثابت رضى الله عنه ويبين كيف تعلق الناس به وبشعره فى الأزمنة المتأخرة وعزا ذلك إلى غرضه العظيم الأهمية على حد تعبيره وهو مدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم. وامتدت أحكامه المعتدلة كذلك بعدهاذين الشاعرين إلى كعب بن زهير رضى الله عنه، فقد أعجب بروكلمان بشاعرية كعب بن زهير (رضى الله عنه) وقد بردته الشهيرة التي خلعها عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فلقد قال عنها:

---

[7]- كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ترجمة عبدالحليم نجار، دار المعارف، بالقاهرة 145/1.

[8]- الدكتور محمود حسن زينى، دراسات في أدب الدعوة الإسلامية ص: 144.

[9]- ديوان لبيد بن ربيعة، دارالكتب العلمية، بيروت. ص212. ص: 174.

"وهي من أشهر أشعار العرب وألبست الشاعر حلة مجدٍ لا يبلى".[10]

2- رأى كارلونالينو الإيطالى:

كان كارلونا لينوممن درس تاريخ الأدب العربي على طلبة كلية الآداب جامعة الملك فؤاد الأول (جامعة القاهرة حالياً). وإذا ما نظرنا فى هذا الكتاب وجدنا مؤلفه وقد أجاز لنفسه تقسيم الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في أوائل ظهور الإسلام أو في أيام الخلفاء الراشدين إلى ثلاثة أصناف بالإضافة إلى الدين الإسلامى:

1- الذين قالوا الشعر في مدح النبى صلى الله عليه وآله وسلم سواء أسلمو أم لم ليسلموا (ولكنه لم يذكرهم). فأكثرهم وأشهرهم في نظره من أهل المدر الذين كانوا يفدون في الجاهلية على الملوك.

2- الشعراء الذين قالوا الشعر في رثاء قتلى الكفار وهجاء النبى وأغلبهم من أهل مكة، ولكنه غاب عنه شعراء من غير أهل مكة قالوا الشعر في رثاء قتلى الكفار ومنهم أمية بن أبي الصلت الثقفي.

3- شعراء أسلموا ولم يهتموا في أبياتهم بأمور النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والدين وهم أكثر شعراء البادية.[11]

ومن الملاحظ على كارنالينو، اعترافه أن أول من يصلح لهم اسم شاعر إسلامى هو حسان بن ثابت الأنصاري، وحُسن إسلامه ظاهر في جملة أشعاره وهي "على سذاجة نظمها وألفاظها واقعة على القلوب ظاهرة التَّفَجع بينة الحسرة والتلهف والأسف".[12]

وقد علل كارلونالينو سبب شكه في تأثير الدين الإسلامي في شعر الصنف الثالث من تقسيماته، على وقرته في أفكارهم و عواطفهم و موضوع قريضهم، كأن أحوالهم ما تغيرت منذ انتهاء عصر الجاهلين، بأن أهل البادية كانوا من أبعد الناس عن روح الإسلام، ولا

[10]- بروكلمان،تاريخ الأدب العربي، 156/1.

[11]- بروكلمان، تاريخ الأدب العربي ، ص:104.

[12]- الدكتور محمود حسن زيني، دراسات في أدب الدعوة الإسلامية ، ص: 147.

ميل لهم إلى تأمل أمور الدين وفهمها، فصعب دخول الإيمان في قلوبهم، فلم يزالوا إلى أيامنا موصوفين بقلة عواطفهم الدينية ونزل فيهم في سورة التوبة:

﴿الأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلاَّ يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[13]

والواقع أن كارنالينوقد أخطأخطأً شديداً وأسرف فى شكه في تأثير الإسلام في شعر شعراء البادية، كما أسرف فى حكمه على الأعراب وأخطأ بحقهم. ولهذا فحكمه مردود عليه، إذ بالغ فيه وعمم واعتبر جميع الأعراب فى درجة مماثلة فى قلة الإيمان، ونسى أو تناسى قول الله تبارك وتعالى في حكم كتابه، وحكمه على الأعراب المؤمنين إذ قال الله تبارك وتعالى في سورة التوبة نَفْسِها:

﴿وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ وَمِنَ الأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَاتٍ عِندَ اللّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[14]

وننكر على نالينو توسيعة دائرة شكه فى شعراء الصنف الثالث الذين سماهم شعراء البادية. بل إنّنا نعتبر حكمه ضد أولئك الشعراء حكماً جائراً مرفوضاً مردوداً عليه، إذ لم يسشن منهم الشعراء الذين أسلموا وَحَسُنَ إسلامهم، وتأثروا بالإسلام حقاً وهم: مُتَمِّم بن نويرة و عمرو بن معد يكرب الزبيدى والعباس بن مرداس السليمى، وأبو ذُؤَيب الهُذَلى وأخوه أبو خراس.

وأما قوة تأثيره في النفوس و سلطانه الروحي على القلوب فهذا يشعر به كل منصف و حسبنا برهاناً على هذا ما قاله الوليد بن المغيرة،[15]وهو ألدّ أعداء الرسول صلى الله عليه

---

[13]- التوبة: 98/11.

[14]- التوبة: 99/11.

[15]- هو ابن زنا، فقدكان دعيا في قريض وليست منهم ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة سنة ، أي بتناه ونسبه لنفسه بعد أن كان لا يعرف له أب. انظرحاشيه الصاوي 233/4.

وآله وسلم: "ماهو من كلام البشر ولا من كلام الجنّ وإن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق وإنه يعلو ولا يعلى عليه".[16]

معاني القرآن و مبادئه:

يقول الإمام عبدالقاهر الجرجانى متحدّثاً عمّا أعجزهم من القرآن المجيد:

"مزايا ظهرت لهم فى نظمه – أي القرآن – وخصائص صادفوها في سياق لفظه، ومساق كل خبر، وصورة كل عظة، وتنبيه وإعلام وتذكير و ترهيب و ترغيب ، ومع كل حجة و برهان ، وصفة وتبيان، وبهرهم أنهم تأمّلوه سورة وآية؛ فلم يجدوا في الجميع لفظه ينبو مكانها،أو ينكر شأنها، أو يُرى أن غيرها أصلح هناك أو شبه أو أحرى أو أخلق؛ بل وجدوا اتساقاً بهر العقول و نظما أعجز الجمهور، ونظاماً والتئاماً، واتفاقا وإحكاماً ، لم يدع فى نفس بليغ منهم....."[17]

أسلوب القرآن وخصائصه:

أما أسلوب القرآن الحميد فمن خصائصه العامة هي كالآتي:

1- التكرار وذلك لتثبيت المعنى في الأذهان والتأثير في النفوس ومن السور التي يتضح فيها التكرار البليغ في سورتي القمروالمرسلات.

2- الالتفات هو انتقال من ضمير كأن ينتقل من صيغة الغائب إلى المخاطب أو المتكلم، كقوله تعالى:﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾[18]

فقد تكلم عن المشركين بضمير الغائب في قوله :" وَحَشَرْنَاهُمْ " وبضمير المخاطب في قوله: "جِئْتُمُونَا".

---

[16]- ابن كثير، الحافظ: تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت،الدكتور الحافظ عبدالرحيم ،أثر القرآن في الشعر العربي، مجلة البحث لكلية الدراسات الإسلامية واللغات، جامعة بهاء الدين زكريا ملتان، المجلد: 2، 2002 ، ص:80.

[17]- الجرجانى،الإمام عبدالقاهر، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رضوان الداية. ص: 36.

[18]- الكهف: 47/16.

3- ضرب المثل و معظم أمثال القرآن محسوسة وذلك لتثبيت الأمور المعنوية ولتوضيح في الأذهان فلذلك قام عدد كبير من العلماء منذ العهد الإسلامي الأوّل بدراسة الإعجاز القرآني من جهة الجمال اللفظي والمعنى.

وجوه الإعجاز:

أما إعجاز القرآن فإنما نزل من رب العلمين على مُحَمَّد وكان أميا لم يكن يعرف القراءة والكتابة ولم يجلس يوماً إلى كتاب، ولذلك لم يكن بمقدوره أن يكتبه هو فهذا دليل على أنه كلام الله، وبالإضافة إلى ذلك أن القرآن تحدى القوم، فقد عجزوا عجزا كليا عن مجاورة أسلوب القرآن وكان تحدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم العرب بالقرآن على مراحل ثلاث:

1- تحداهم بالقرآن كله، فقل: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.[19]

2- تحداهم بعشر سور منه، فقال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾.

3- تحداهم بسورة واحدة منه، فقال:﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ﴾.[20]

أما وجوه الإعجاز فقد ناقش هذا الموضوع البلاقاني وذكره ثلاثة وجوه وقسم الوجه الأخير إلى اثنتي عشرة صورة وعد الماوردي عشرين وجها وأضاف القاضي عياض عليها وجوها عديدة وبلغ عدد وجوهه أربعة وأربعين عند المتأخرين.

والحق أن موضوع إعجاز القرآن ووجوهه يحتاج إلى مقال مستقل وبالمناسبة هنا نقدم خلاصة ما ذكره كبار العلماء مِن وجوه الإعجاز.

---

[19]- بنى إسرائيل: 88/15.

[20]- البقرة: 23/1.

1- وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص به لا مطلق التأليف وهو بأن اعتدلت مفرداته تركيبا وزنة وعلت مركبات معنى بأن يوقع كل فن مرتبة العليا في اللفظ والمعنى.

2- الإخبار عن الغيوب المستقبلة ولم يكن ذلك من شأن العرب كقوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾[21] و﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾[22] ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ﴾[23] وغير ذلك مما أخبربه بأنه سيقع فوقع.

3- إخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاء الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلاَ قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا﴾[24]

4- نظمه و صحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه.

5- الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب.

6- أنه شئ لا يمكن التعبير عنه بأن الإعجاز يدرك ولا يمكن وصفها كاستقامة الوزن تدرك ولا يمكن وصفها.

إن القرآن ليس بمعجزة من حيث البلاغة والفصاحة و مراعاة المقام وحسن الترتيب والتنسيق فحسب بل سائر كلماته مزينة و مرصعة بنور إلهي بعيدة كل البعد عن إمكانية التبديل والتقليد، كما يقول الزركشى: "الدليل على عظمة القرآن أنه غير قابل للتحريف والتغيير والتبديل".[25]

تأثير القرآن الكريم في الألفاظ

ونذكرهنا أهم الشعراء:

---

[21]- القمر: 45/27.

[22]- الفتح: 27/26.

[23]- الروم: 1،2/21.

[24]- هود: 49/12.

[25]- الزركشي، بدرالدين، البرهان في علوم القرآن: دارالفكر، بيروت، لبنان. 90،91/4.

1- حسان بن ثابت رضى الله عنه:

وإذا ما أخذنا ننظر فى ماقام الشعراء وما ساهموا به بنصيب، وما جاهدوا به ألسنتهم، إلى جانب جهادهم بنفوسهم وسيوفهم، وجدنا حسان بن ثابت رضى الله عنه شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليسهم بنصيب كبير في تصوير هذا الموقف النبيل الذي وقفه المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقد روى ابن إسحاق مقطوعة شعرية لحسان بن ثابت رضى الله عنه سجلها ابن هشام في السيرة النبوية وإن كنا لا نجدها في ديوانه.

قال حسان:

فما نخشى بحول الله قوماً وإن كثُروا وأجمعَت الزُّحوفُ

إذا ما ألّبُوا جمعًا علينا كفانا حَدَّسهم ربٌّ رَؤُفُ

سمونا يوم بدر بالحوالى سراعاً ما تُضَعْضِعْنَا الحتُوفُ

فلم تَرَعُصْبةً فى الناس أنكَى لِمن عَادَوا إذا لَقِعَت كَشُوفُ

ولكنّا توكّلنا و قلُنا مَآثِرُنا وَمعْقِلُنا السُّيوفُ

لقيناهم بها لما سمونا وَنَحْنُ عِصابة وهم أُلُوفْ[26]

2- النابغة الجعدي قال:

الحمد لله لا شريك له ومن لم يقلها فنفسمه ظلما

الموج الليل في النهار وفي الليل نهار يفرج الظلما

الخالق البارئ المصور في الأرحام حتى يصير دماء

مِن نطفة قَدَّها مِقدرها يخلق منها الأبشار والنسما[27]

[26]- ابن هشام السيرة النبوية بشرح الوزير المغربي، الطبعة الأولى(1412هـ - 1992م) دارالفكر، بيروت، لبنان. : 22/1.

[27]- شوقى ضيف، تاريخ الأدب العربي، دار المعارف بالقاهرة، الطبعة الثامنة عشره. ص:103.

كمايقول:

أتيت رسول الله إذجاء بالهدى ويتلو كتابا كالمجرة فسيّرا

أقيم على التقوى وأرض بفعلها وَكُنت من النار المخوفة أحذرا[28]

3- كعب بن مالك قال:

لما حامت فوارسكم ببدرٍ ولا صبروا به عند اللقاء

وردناه بنور الله يجْلُو دجى الظلماء عَنّا والغطاء

رسول الله يقدمنا بأمر مِن أمر الله أحكم بالقضاء

بنصر الله روح القدس فيها وميكال فيا طيب الملاء[29]

يقول أيضاً:

أجيبونا إلى ما تجتديكم مِن القول المبين والسداد

وإلا فاصبروا لجلاديوم لكم منّا إلى شطر المذاد

إذا قالت لنا النُذُر استعدُّوا توكلّنا على رب العباد

لنظهر دينك اللّهم إنا بِكَفِّك فاهدنا سبيل الرشاد[30]

4- عبدالله بن رواحة:

شهدت بأن وعد الله حق وأن النار مثوى الكافرينا

وأن العرش فوق الماء حق وفوق العرش ربُّ العالمينا

وتحمله ملائكة غلاظ ملائكة الإله مُسَوَّمينا[31]

---

[28]- المصدر نفسه، ص:101.

[29]- ابن كثير: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، أبو الفداء،البداية والنهاية، دار إحياء التراث العربي، ط:1-1408هـ. 352/3،4.

[30]- السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن: الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: دارالفكر، بيروت، لبنان. 272/6.

كمايقول:

يارب لولا أنت ما اهتدينا ولا تَصَدَّقنا ولا صَلّينا

فأنزلن سكينة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الكفّار قد بغوا علينا وإن أرادوا فتنةً أبينا[32]

تأثير القرآن الكريم في المعاني

تأثر الشعراء بمعانى القرآن واستمدّوا أفكارهم من روح الإسلام فاقتبسوا أنماطاً جديدة في التفكير والتعبير من الآيات القرآنية كما بدأ يردد هؤلاء الآيات القرآنية أو معانيها في كتبهم و خطبهم ووصاياهم وأشعارهم. فتلمح أثراً بليغاً للمعاني القرانية في الأدب العربي. وساروا على منهج جديد حيث تناولوا كلمات القرآن ومعانيه كالجنة، والنار، والثواب، والعقاب وكالاعتزاز بالإسلام بدل الاعتزاز بالقبيلة، كما يقول الحطيئة:

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

ياقيس، لا تجب النداء فمالنا نسبه نجيب به سوى الأنصار

نسب تخيّره الإله لقومنا أثقل به نسبا على الكفار[33]

يقول حسان بن ثابت رضى الله عنه:

أعينى الرسول فإن الله فضله على البرية بالتقوى وبالجود

وقد زعمتم بأن نحموا ذماركم وماء بدر زعمقم غير مُورود

فينا الرسول وفينا الحق نتبعه حتى الممات ونصر غير محدود

---

[31]- أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمّد بن عبدالبر القرطبى، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، الطبعة الثانية (1422هـ - 2002م) دار الكتب العلمية، بيروت. 305/3.

[32]- المصدر نفسه، 282/4.

[33]- ديوان حسان بن ثابت رضى الله عنه، دارالكتب العلمية، بيروت. ص: 55.

مبارك كضياء البدر صورته ماقال كان قضاء غير مردود [34]

ويقول ايضاً:

شهدتُ بإذن الله أن مُحَمَّداً رسول الذي فوق السموت من عَلُ

وأن أبا يحي ويحي كلاهما له عمل في ديه مُتَقَبَّلُ

وأن الذي عادى اليهود ابن مريم رسل أتى مِن عند ذى العرش مرسل

وأن أخا الأحقاف إذ يعذلونه يقوم بدين الله فيهم فيعدل[35]

قال أبوبكر صديق رضى الله عنه:

أَرَى مِن لُؤَيّ فرقة لا يَصُدُّها عن الكفر تذكير ولا بعث باعثِ

أتاهم رسول صادق فتكذّبوا عليه وقالوا: لست فينا بما كث

إذا ما دعوناهم إلى الحق أدبروا عن الحق إدبار الكلاب اللّواهثِ

فإن يرجعوا عن كفرهم وعُقوقهم فما طيبات الحلّ مثل الخبائثِ

وإن يركبوا طغيانهم وضلاتهم فليس عذاب الله عنهم بِلَابِثِ[36]

كمايقول:

فصلى الإله إله العباد وأهل البلاد على أحمد

فكيف الإقامة بعد الحبيب بين المحافل والمشهد

فليت الممات لنا كُلّنا وكُنّا جميعاً مع المهتدى [37]

قال كعب بن مالك:

---

[35]- ديوان حسان بن ثابت رضى الله عنه، ص:189.

[36]- ديوان أبوبكر صديق رضى الله عنه، الدكتور عمر الطباع، دارأرقم، الطبعة الأولى (1420هـ - 1999م) بيروت ، لبنان. ص: 138.

[37]- ديوان صديق رضى الله عنه ، ص: 152.

فينا الرسول شهاب تم يتبعه نور مُفيء له فضل على الشهب
الحق منطقة والعدل سيرته فمن يُجبه إليه ينج من تبب
يَمْغِي ويذمرنا عن غير مَعْصية كأنه البدرلم يطبع على الكذب
ليسا سواء وشتّى بين أمرها حزب الإله وأهل الشرك والنُصب[38]

قال كعب بن زهير:

أُنْبِئْتُ أنّ رسول الله أوعدني والعفو عند رسول الله مَأْمُولُ
فقد أتيت رسول الله معتزراً العذر عند رسول الله مقبولُ
إن الرسول لنور لسيتضاء به مَهَنّد من سيوف الله مَسْلُولُ
زالو فما زال أنكاس ولاكشف عند اللقاء وَلَا مِيل مَعَازِيلُ[39]

تأثيرالقرآن الكريم في الصياغة والأسلوب

ويبدو أن كعب بن مالك كثير القراءة للقرآن والحفظ له والامتزاج بروحه إضافة إلى مايبدو في شعره من ألفاظ وأساليب، تنطلق من مخزونه القرآني لتنتظم في شعره بانسجام واتزان، وهو في تلك الميزة ومن تسرب الأسلوب القرآني فى شعره له:

1- كعب بن مالك

صبرنا لانرى يلله عَدْلاً على مانابنا متوكلينا
وكان لنا النبي وزير صدقٍ به نعلوا البرّية أجمعينا
لننصر أحمد والله حتى فكون عباد صدقٍ مخليصنا
ويعلم أهل مكة حين سادوا وأحزاب أتوا مُتَحَيِزّبينا
بأن الله ليس له شريك وأن الله موَلَى المؤمنينا[40]

[38]- مُحَمَّد عبدالرحيم، موسوعة روائع الأدب الإسلامي، دار الراتب الجامعية بيروت، لبنان. ص: 61.
[39]- ديوان كعب بن زهير،، دارالكتب العلمية، بيروت. ص:335.

2- فاطمة بنت مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وسلم تقول:

اغبرّ آفاق السماء وكورت شمس النهار وأظلم العصران

فالأرض من بعد النبي كئيبة أسفا عليه كثيرة الرجفان

يا خاتم الرسل المبارك ضوءه صلى عليك منزل القرآن[41]

3- قال أبوبكر صديق رضى الله عنه:

يَاربَّ ما يَخْشَى وَلَا يَضِيْرُ شيئاً وقد ضاقت به الصُّدور

كم مِن صغير عقله كبير وَمِن كبير عقله كبيرٌ

ومن كبير عقله صغير وفي البحور تغرق البحور

والله ربي واحد قدير تجرى كما يشاؤه الأمور

ليس له في فعله مُشير ولا تغير كونه الدُّهور[42]

قال كعب بن مالك رضى الله عنه:

وقد أُوتُوا معاً فهماً وعلماً وجاءهم مِن الله النذير

نذير صادق أَدَّى كتاباً وآيات مُبّينةً تُنير

فقالوا ما أتيت بأمر صِدقٍ وأنت بمنكر منّا جدير

فمن يتبعه يُهد لِكلّ رُشدٍ ومن يكفر به يجز الكفور

أرى الله النبيّ أي صدقٍ وكان الله يحكم لايجور

فأيّدة وسّلّطه عليهم وكان نصيره نعيم النصير[43]

---

[40]- ابن كثير:البداية والنهاية، 142/3،4.

[41]- مُحَمَّد عبدالرحيم، ديوان فاطمة الزهراء: مُحَمَّد عبدالرحيم، الطبعة الأولى: (1421هـ/2000م) دارقتيبة، دمشق، ص:389.

[42]- ديوان صديق رضى الله عنه، ص: 164.

[43]- موسوعة روائع الأدب الإسلامي،ص: 127.

قال النابغة الجعدي:

الحمدلله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

المولج الليل فى النهار وفي الليل نهاراً يفرج الظلما

الخافض الرافع السماء على الأرض ولم يبين تحتها دعما

الخالق البارئ المصور في الأرحام ماءً حتى يصيردما

مِن نطقة قدّها مقدرها يخلق منها الأبشار والنسما[44]

[44]- ابن قتبه، أبو مُحَمَّد عبدالله بن مسلم بن قتبه الدينوري الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء الطبعة الاولى (1421هـ - 2000م) دار الكتب العلمية، بيروت. ص: 166

ملخص البحث

- ❖ هذا البحث المتواضع بعنوان:"تأثير القرآن الكريم في الشعرالعربي في العصرالإسلامي"رد على أوهام المعترضين ضد الأدب الإسلامي.
- ❖ الشاعر الذي تأثر بالقرآن الكريم لفظاً و معنىً وأسلوباً مثل الشاعر سيدنا أبوبكر صديق ﷺ عنوان قصيدته مثلاً: "براءة أم المؤمنين" وكان أمر الله مفعولاً" و"ذكرى الإسراء".
- ❖ الشاعر الذي تأثر بالقرآن الكريم لفظاً و معنىً وأسلوباً مثل علي بن أبي طالب ﷺ.وعنوان قصيدته:"برالوالدين والأقربين"و"خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين" و"أقيموا الصّلاة وأتوا الزكوة" وغيرهم.
- ❖ قد أثّر القرآن الكريم لفظاً ومعنى وأسلوباً على نفوس الأدباء العرب، فصارت الآيات القرآنية ومعانيها وأفكارها وأساليبها تتردّد في قصائدهم وخطبهم ورسائلهم وكتبهم ووصاياهم وقصصهم وأشعارهم.
- ❖ فمن يقرالأدب الديني ويتدبره يزداد إيماناً بمافيه من أثرالقرآن العزيز.

ونسأل الله تعالى أن يتقبل هذا العمل الصالح.

والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم خاتم النبيين والمرسلين.